

# ازدحام القصة في الفيلم المصري

بقلم صلاح عز الدين

- ١ -

تاريخية آخذة في التطور والتغير .  
فالحقيقة الكبرى هي ان الفيلم (عمل اجتماعي) من اعمال التفاهم ،  
( عمل ) نشأ في مجتمع يتبادل أسباب العيش على أساس (المقايضة)  
المباشرة .. فتحول على الفور الى ( عمل سلمي ) ربحا .. كهدف  
نهائي أو شبه نهائي . وعندما تنطور المرحلة التاريخية القائمة الآن في  
معظم البلاد ويتغير نظام المقايضة من نظام مباشر الى نظام غير مباشر  
فسيرتد الفيلم ، والاعمال الفنية كلها ، الى المكان الحقيقي السليم  
وينتخلص من قبضة السوق التجارية ليستقر في يد الاشراف الفني البحث .  
وما الصراع القائم وراء جدران مكاتب الانتاج السينمائي في كل البلاد  
المنتجة للافلام التجارية ، الا حرب دائمة بين التجارة والفن ..  
هذه الحرب قائمة في مكاتب هوليوود ، ومدينة السينما شمال روما ،  
وحي الافلام غربي باريس ، وقطاع الاستوديووات في حي سوهو بلندن ،  
وبورصة السينما في القاهرة بين شارع النيل وشارع توفيق ..  
حرب قائمة بين العنف والهوادة .. بين صاحب رأس المال وصاحب  
فن الفيلم ، حرب تنتهي الى محاولة تقييم نتيجة الفيلم وتحديد معنى  
النجاح ، ولا حاجة الى القول بعد هذا ان تحديد معنى النجاح ليس  
اكثر من تحديد ارقام الدخل في شباك التذاكر ...

- ٢ -

القصة في الفيلم السينمائي ، كما هو الامر في كافة الفنون التعبيرية  
الحركية ، هي موطن الداء او مصدر القوة على اساس انها الهدف الاول  
والنهائي من انتاج الفيلم .

والتسبب للفيلم المصري منذ نشأته حتى الآن يستطيع ان يؤكد ، في غير  
خوف من المبالغة او التهويل ، ان ازمنته الراهنة قد بلغت الآن حصد  
الاختناق ، لان القصة قد استنفدت عناصر قوتها بضغط الصراع الدائر بين  
المنتجين التجاريين والسينمائيين الفنيين . ولست اغنى بذلك أشخاصا  
حقيقيين مدرجين في نقابة المهنيين السينمائيين وانما اعني فريقين من  
العاملين في السينما بالامس واليوم والفد دون ادنى نظر الى هؤلاء  
الاشخاص بظروفهم وماضيهم وحاضرهم . انما أشير اليهم من الناحية  
النظرية فحسب . أشير اليهم على اساس اهدافهم كفريقين تجعل منهم  
المرحلة التاريخية القائمة فريقين متعارضين في اغلب الاحيان .. الى ان  
تصبح السينما حقلا انتاجيا مؤمما تتولاه الدولة فيصبح الفريقان  
المتخاصمان فريقين متعاونين ... يقتصر معنى ( النجاح )  
لديهما معا على مدى ما احرزه الفيلم من توفيق في ايصال  
القصة الى عقل المتفرج وقلبه .

فان السينما المؤممة لا تطلب من المتفرجين ( فروقا )  
بين سعر التكلفة وثمان البيع .. لا تتقاضى ارباحا مباشرة  
مقياسها ارقام الدخل في شباك التذاكر ... وانما ارباحها  
هي الافكار التي تمكن الفيلم من ( روايتها ) على الجمهور  
( وايصالها ) الى عقله وقلبه . عند هذا تنتفي الرغبة في

المفروض في الفيلم اساسا انه يروي قصة عن طريق الصوت  
والصورة المسجلتين على نحو مايفعل الكتاب والراديو والمسرح ، وغيرها  
من وسائل رواية القصة ، بطرق وادوات مختلفة .

ومع ان الافلام تنقسم الى انواع : بعضها لايعتمد على القصة كالفيلم  
التسجيلي والفيلم العلمي الا ان هذين النوعين وما اليهما يعتمدان على  
نحو خاص من ( الرواية ) يستلزم ، كما هو الامر في البناء القصصي ،  
ترتيا معيننا لتفاصيل الموضوع العلمي أو التسجيلي . أي انه هو الآخر  
نوع من رواية القصة بمقدمات مختلفة . القصة هي الكائن الحي  
الحقيقي في الفيلم والمسرح والكتاب دون شك . هي ( الموضوع )  
الذي من أجله تحتشد أدوات الفيلم من المناظر المقامة وأشرطه الصوت  
والصورة وأشخاص الممثلين أنفسهم . هذا الاحتشاد لايسمى ، في  
النهاية ، الى غير ايصال ( اجزاء ) القصة المختلفة ، كل في حدوده ،  
الى عقل المتفرج وقلبه ، على خير نحو يمكن الوصول اليه .

ومن هنا بالذات ، من مجموع هذا الهدف النهائي ، ترسم القيم  
الحقيقية الاساسية التي تحدد مدى استيفاء الفيلم لشروط نجاحه  
وينبغي ان نسارع هنا الى التنبيه بان كلمة ( النجاح ) في السينما ،  
كما هو ينبغي ان يكون الامر في كل مضممار انساني ، ليس معناها  
مايحيط بالعمل من ظروف ونتائج عارضة ولكن معناها الحقيقي هو  
مدى التوفيق الذي تسجله النتيجة النهائية في الاقتراب من تحقيق  
الهدف الذي تصدت له هذه الجهود الداخلة في تكوين الفيلم - أو  
الكتاب أو المسرح - وما الهدف - كما بينا - الا رواية القصة بكل  
اجزائها على خير نحو ممكن .

ولكن المرحلة التاريخية القائمة التي تجعل من الفيلم في معظم بلاد  
العالم - ومن الكتاب والمسرح - سلعة تجارية تنتج في سوق تتعامل  
بالنقد من أجل تحقيق فرق بين التكلفة وسعر البيع هو الربح ،  
هذه المرحلة التاريخية القائمة ، والماضية نحو التغير والتوتر - كما  
حدث في بعض بلاد العالم - ، هي التي تطمس معالم النجاح الحقيقي  
وتقصره في معظم الاحيان على ( النجاح المادي ) وعلى ( النجاح  
الادبي ) في احيان قليلة .. النجاح الذي تترجمه ارقام الدخل في  
الحالة الاولى وآراء النقاد في الحالة الثانية .

ولكن الحقيقة العلمية السليمة هي ان النجاح الثابت  
للفيلم كامن ، فحسب ، في درجة بلوغ اجزاء القصة ، كلها  
او معظمها او بعضها ، الى اذهان المتفرجين وقلوبهم .

وليس من الصبر ان نشين هذه الحقيقة لو  
افتراضنا وجود جمهور من المتفرجين يجتمع لمشاهدة  
عدة افلام لمدة اسبوع مثلا ، دون ان يتقاضاه منتجوا الافلام  
اجرا على المشاهدة . عند هذا فقط يمكن ان يتجرد  
النجاح من هذا المقياس الذي تفرضه عليه مرحلة



له اذا سيطر على جمهوره الفطري بانارة روعه من القوى الخارجية او تخدير حسه باصوات القرع القوية الرتيبة .  
ان مهارة الساحر الافريقي تعتمد في نجاحها ، بالطبع ، على مدى استعداد جمهوره ومدى فاعلية وسائله في نفس الوقت . والنظرية نفسها تنطبق دائما على اي مجتمع تنشأ فيه الحاجة الى مثل هذه السيطرة القائمة على التحايل والتزييف بغية الوصول الى « غنيمة » لا يمكن الوصول اليها دون نوع من السيطرة التخديرية .

- ٣ -

الملاحظ عموما على الفيلم المصري انه يتحرك ، من ناحية الفكر ، داخل اطار معين لا يكاد يتغير . اطار حدده تاريخ الانتاج السينمائي المصري بحدود الفواجع والوقائع والمبازل . وما يزال هذا الاطار قائما منذ نشأة السينما حتى يومنا هذا بما في هذا التعميم من تسليم كوجود فروق تفصيلية ونسبية .

دليل واقعي ملموس انه من بين الافلام المصرية التي انتجت في اواخر العام الماضي لتعرض في اوائل هذا العام ( ١٩٥٧ ) افلام تحمل ، دون تورية ، خصائص هذا الاطار الذي يسخر فيه التفكير السينمائي المصري . اطار الفاجعة الفارقة مع الجنس التملط المتهتك .

اذا كان هذا الطابع لا يزال قائما حتى اليوم رغم كل ما يدور في الطريق والمقهى والصحفية والكتاب والذهن والسياسة العالمية وكل اصوات القرن العشرين . . . فان لنا ان نحمله مسئولية دوره الخطير في توليد نوع من التناقض الشنيع بين الحياة الحقيقية وجوهرها في هذا العصر . . . وصورتها في مثل هذا الفيلم . . اللهم الا اذا كان الكيان القائم في الفيلم هو الحقيقي وكيان الحياة في الشارع والمنزل والمقهى والذهن هو الكيان الزائف .

## قضايا الفكر المعاصر

سلسلة كتب تتناول أهم القضايا الفكرية التي تشغل المثقفين اليوم ، مع دراسة واقية لاعلامها وممثلها العالميين

صدر منها

### ١ - سارتر والوجودية

تأليف ر.م. البريس ترجمة الدكتور سهيل ادريس

### ٢ - كامو والتمرد

تأليف روبر دولوييه ترجمة الدكتور سهيل ادريس

تطلب من دار العلم للملايين  
ودار الآداب - بيروت

بلوغ هدف خارج عن الهدف الحقيقي من فن التعبير السينمائي .  
هذا هو الوضع الآخر الذي يجعل من الوضع القائم وضعا ظاهرا بالنسبة لفن السينما من جهة وللجمهور من الجهة الاخرى . فقد اصبحت السينما اداة تعمل لغير هدفها ، واصبح الجمهور يدفع ثمنا عن « انتاج » لا يقبله . وليس معنى هذا على الاطلاق ان السينما كفن لم تعد قادرة على تحقيق هدف خلقت من أجله ، وانما معناه ان هناك عوامل تحيد بها عن هدفها وتحول بينها وبين تأدية وظيفتها الحقيقية . ذلك لان المنتج الذي لا يريد من الفيلم الا ان يحقق له ارباحا يجتهد دائما في ان يفرض عليه « ضمانات » لاقبال المتفرجين . . . مهما كان الاتجاه الفني المنطقي لقصة الفيلم .

ولقد كانت هذه « الضمانات » في الفيلم المصري منذ نشأته حتى الآن سلسلة من الصور الذهنية المعبرة عن وجهة نظر المنتج الى « نقط الضعف التجاري » عند الجمهور . . . صور مختلفة لم تخرج حتى الآن عن الجنس ، والفاجعة ، والطرب . . . وفي اطار من الاثارة .

ذلك لان الجنس والفاجعة وروح الطرب ليست في ذاتها ، نقط ضعف . . . وانما الضعف الذي يهدف المنتج الى استغلاله لا يتأتى له الا عن طريق الاثارة . فالاحساس بالجنس والفاجعة والتطريب مقومات انسانية طبيعية الى ان تثار في صورة مبالغلة فتصبح عندئذ موطن ضعف بسلب المرء صفة الاتزان الطبيعية التي تجعل منه شخصا عاديا وتحوله الى شخص غير عادي يمكن السيطرة عليه .

وليس في هذا اكتشاف عظيم ولكن فيه سرا من أسرار المهنة اكتشفه المنتج السينمائي التجاري وهو يسعى الى سبيل تمكنه من السيطرة على السوق على نحو ما يكتشف ساحر القبيلة مدى الامكانيات التي تتاح

صدر عن : دار صادر ودار بيروت

رسائل اخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الاول

يصدر هذا الكتاب في ١٢ جزءا ، ثن الجزء ٢٥٠ قرشا لبنانيا بالاشتراك و ٣٠٠ قرش لبناني عند اكتمال الكتاب . وسيضاف لهذه الطبعة الجديدة فهارس عامة تسهل الاخذ بها .

لسان العرب

النسخة الكاملة ٦٥ جزءا ، ثمن الجزء ثلاث ليرات لبنانية

معجم البلدان

النسخة الكاملة ٢٠ جزءا ، ثمن الجزء ثلاث ليرات بالاشتراك وعند اكتمال النسخة يكون ثمن الجزء ٤ ليرات .

صدر منه ١٥ جزءا

وعلى اي حالين فان التناقض قائم لا محالة بين الفيلم والحياة ...  
ومثل هذا التناقض لا يؤدي الى غير الصراع ، وهنا نقف قليلا لنشهد بان  
السينما المصرية هدف صريح لحرب حقيقية تشنها عليها مراكز الحياة .  
ومراكز الحياة ، في هذه القضية ، هي الاشخاص والظروف القائمة  
خارج نطاق السينما .

ففي هذه السنوات الاخيرة انتشرت الصحف وتكاثرت وسائل التعبير  
عن الرأي العام ، وانفسج المجال امام الاشخاص العاديين ، وتداخلت  
خطوط النشاط الانساني المختلفة في المجتمع العربي عامة بفعل التطور  
الذي حدث في الاقتصاد والسياسة وما يترتب على تطورها من اختلاف  
في نظم الحياة والتعامل بين الناس ... بسبب هذا كله وما يشبهه كثر  
النقاش والبحث في كل ما يمس حياة الناس على نحو لم يسبق له مثيل  
في مجتمعنا العربي .

لقد خرج الناس العاديون من حظيرة الوصاية التي فرضتها عليهم ،  
سياسيا واقتصاديا وفكريا ، قوى اجنبية تتمثل في قوى محلية مركزة  
تركيزا شديدا في ايدي قلة من وريثة الحكم والاقتصاد .

لقد تبلور هذا التطور ، في السنوات الاخيرة ، بعد سنتين طويلة من  
التجمع والتحبس ثم التسرب والنفاذ خلال الاغشية الكثيرة المتعددة  
التي كان الوضع القديم يغلف بها غنيمته الحية طيلة القرون الماضية .

وواضح الآن تماما ان القوى الجديدة النامية ، حتى وهي في مرحلتها  
الغضروفية الرقيقة هي القوى التي تثير المتاعب في طريق القوى القديمة.  
والسينما المصرية صورة من صور الاوضاع القديمة التي لم تتغير او لم  
تغير من حدودها البارزة التي تشي بانتمائها وتبعيتها للمفهومات القديمة  
رغم المحاولات الساذجة التي تبذلها لتقنيع هذه المفهومات القديمة باقنعة  
مستعارة من مفهومات القوى الجديدة النامية .

ولعلنا نستطيع الآن ان نحدد أزمة السينما المصرية بانها تحمل في طياتها  
علتين قائلتين .. فهي اولا بحكم تكوينها التجاري تهدف الى غير هدفها  
... وهي ثانيا تبسع فيما قديمة في سوق آلت الى اصحاب قيم جديدة ..  
او بعبارة اخرى تواجه حربا اجنبية في وقت نشبت في داخلها هي ذاتها  
حرب اهلية .

السينما المصرية تحمل في ذاتها متناقضات ستؤدي ، قريبا ، الى  
القضاء على كيانها القائم الآن . ذلك لان هذا الكيان يعمل بنفسه على  
تقويض فرصته في الحياة .

صلاح عز الدين

« للمقال بقية »

## تطلب (الاداب)

في مدينة « فاس »

بمراكش

من مكتبة العلمي

زقاق لهجر ٥١

★ مكتبة في كتاب ،

★ وسفر في جامع خالد ،

★ وتراث ادبي عريق حفظته القرون :

تعيده الى الحياة ، وتضعه بين يدي

الادباء والمدرسين والطلبة العرب

دار

مكتبة الحياة للطباعة والنشر

# الأخاني

لأبي الفرج الاصبهاني

تمت اعادة طبعه كاملا ( ٢١ جزءا )

وهو يعرض مجلدا تجليدا أنيقا

كتاب لا بد منه لكل قارئ وباحث ، مكتبة تفنيك عن

مئات الكتب ، ومرجع دائم يؤرخ الادب العربي

بمختلف تياراته واتجاهاته ، وينير سبل

الاديب والدارس والمطالع

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر

يحي الخليل

للحراصة

بيروت لبنان - ص.ب. ١٣٩٠

ثمن المجموعة كاملة ١١٠ ليرات لبنانية

تضاف اليها اجرة الشحن